المحاضرة السادسة : **برونسلاف مالينوفسكي :1884-1942**

**Bronisław Kasper Malinowski**

1/ التّعريف:

هو عالم انتربولوجي بولوني، تحصل على شهادة دكتوراه في الفيزياء و الفلسفة في {كراكوال} التي كانت إحدي المقاطعات في الإمبراطورية النمساوية. درس علم النفس و الاقتصاد و كان مقتنعا بأنه يمكن للمجتمع أن يفهم من خلال الطريقة التالية ، كوحدة للأجزاء المظفورة مع بعضها البعض . و ينبغي للتحليل أن يكون تزامنيا بمعنى غير تاريخي. قرأ مالينوفسكي خلال نفس الفترة كتاب "الغصن الذهبي" و انتقل ليدرس بإشراف [مارتن سليجمان] في جامعة لندن و التي كانت تحضى بسمعة طيبة لتقديمها ظروفا جيدة للعمل الحقلي في المناطق الغربية. قام مالينوفسكي بتجربة دراسة حقلية دامت مدة ستة أشهر في جزيرة على ساحل غانا الجديدة، و التي اعتبرها هو عملا فاشلا.و بعد إقامة قصيرة استطلاعية بجزر التروبرياند قضاها في التأمل في منهجه اتجه مرة أخرى ليقضي فيها عامين بين 1915-1918 . -عاد بعد نهاية الحرب العالمية الأولى ليكتب كتاب (مغامرات جادة في الجانب الغربي للمحيط الهادي )،هذا العمل يعتبر الأكثر ثورية في تاريخ الانتربيلوجيا، إذ يعتبر مالينوفسكي من اكبر مؤسسي الانتربولوجيا العلمية و ذلك من خلال الثورة التي قام بها في مجال البحث الميداني، فمعه أصبح الميدان بمثابة معبر تتجلى من خلاله الحياة الاجتماعية للمجتمعات المدروسة . توفي مالينوفسكي في الولايات المتحدة ، فيما كان يقوم بدراسة عن التغيير الاجتماعي لدى الفلاحين الهنود في المكسيك . و كان كتاب "المغامرات الجادة..." الذي قدم له [جيمس فرايزر] حيث عالج بطريقة أكاديمية و فحص عميق و مفصل للسكان تروبرياند . فقد عالج أولا التجارة عند {قبيلة الكولا} حيث تدور الحاجات الثمينة الرمزية في منطقة واسعة من الجزر الماليزية، و وصف التخطيط للبعثات و الطرق المتبعة و الطقوس و الممارسات المقترنة بها و أثارالصلات بين تجارة الكولأ و مؤسسات التروباند الأخرى مثل القيادة السياسية و الاقتصاد المحلي و القرابة و المرتبة . المرجعية الفكرية: الوظيفة هي التي تصور الظواهر الإنسانية تصويرا نسقيا وظيفيا. و توجد عدة نظريات وظيفية التي تركز على أن المجتمع يتكيف مع محيطه، أي أن الظواهر الاجتماعية الجزئية تؤدي وظائف جزئية معينة في إطار نسق من الظواهر لتأسس أو تبقى وظيفة كلية و هي تكيف المجتمع مع محيطه. فالمؤسسات الاجتماعية كالمدرسة أو الجامعة مثلا تؤدي وظيفة جزئية و هي التربية و التعليم، و هذه الوظيفة تتكامل مع وظائف لتحقيق الوظيفة الكلية و هي تكيف المجتمع مع محيطه. رؤية مالينوفسكي إلى التغير الثقافي: ما بين سنة 1929 و 1943 أعدّ مالينوفسكي 113 مقلا حول التغير الاجتماعي، تدور أطروحة مالينوفسكي في هذا الكتاب حول رأي مؤدّاه أن الأفريقيين و الأوروبيين في إفريقيا يتعرضون إلى عملية اتصال متبادل ينطوي على الأخذ و العطاء، و هي عملية يغلب عليها التوازن من حيث الوسائل المشتركة و الحلول المبنية على المصالح المتبادلة حسب رأيه. \_ يقترح مالينوفسكي بعض الوظائف و الأدوار التطبيقية للأثنروبولوجيين لينهضوا بها في عملية تنمية المؤسسات الأوروبية في إفريقيا و يتطلب ذلك ما يلي: 1/استيعاب طبيعة الفروق الثقافية بين الإفريقي و الأوروبي و محاولة تسوية ما بينها من تناقض و صراع. 2/ممارسة الاعتدال و الصدق في طرح الأفكار. لكن معظم الدول رفضت هذه التّسوية و أخذت استقلالها عكس ما توقعه مالينوفسكي، حيث لاحظ الناقد الأثنروبولوجي [ماكس كلاكمن] بأن مالينوفسكي لم يتعامل مع التغير في إفريقيا لأنه تعامل مع الواقع في حالة استقرار. المادية الثقافية عند مالينوفسكي: عندما نحلل دراسة مالينوفسكي للعوامل التقنية الاقتصادية من زاوية الاختلاف بين التوجه الثّقافي المثالي و التّوجه المادي، نجد أنها أسهمت في تقليص فرص الخيارات العلمية الإيكولوجية و الاقتصادية في مجالات البحث الأثنروبولوجي، لأن بحوث مالينوفسكي كانت تتجه نحو حاجة التغذية و حاجة الإنجاب كما وضعها في كريسمته. و امتنع مالينوفسكي عمدا عن القيام بدراسة اقتصادية جادة للنّظام الإنتاجي و التوزيعي لجز ر تروبانياند لأن توجهه الإثنوغرافي كان مناقضا لهذا الخيار. لأن مالينوفسكي كان يدفع بنا نحوه الطرف النّفسي الرّمزي الذّاتي أكثر من فسح المجال للسّياق السّوسيولوجي من التّعبير عن التّغير الاجتماعي في مجتمع الكولا. مالينوفسكي و البحث التّاريخي الثّقافي: يرى مالينوفسكي أنه من الضروري تعريف المؤسسات الاجتماعية من خلال وظائفها و تحديد مواقعها في مجمل التّنظيم الاجتماعي للمجتمع و يمكن تقسيم أعمال مالينوفسكي كالأتي: 1/ الجنس و الأسرة و الفرد: ينطلق من موقف تأيديي للعالم [إدوارد وسترمارك] الذي يؤكد عالمية الأسرة النّواة و شموليتها ركّز مالينوفسكي فيه على الأسرة قبل أن ينتقل إلى دراسة موضوع التّغيير و الاتصال الثّقافي، و بدأ بتقديم نقد للنزعة الفرويدية عندما رأى بأن الأبناء في جزر التروبرياند لهم نزوع نحو الأخوال و ليس نحو الأب أو أقاربه، و هذا يعني زوال فكرة قوة سيطرة الأب على الأسرة.(تناول هذا الموضوع في مقاله "الحياة الجنسية للمجتمعات البدائية.") و التّرسيمة النّظرية لمالينوفسكي تقوم على أساس تحديد سبعة حاجات بيولوجية نفسية، و التي يقوم النّظام الاجتماعي عادة بإرضائها.

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| الحاجات النّفعية  | الاستجابات المباشرة  | الحاجات الرّئيسية |
| تحديد الأداة الثقافيةمواثيق و سنن السّلوكتدعيم و تجديد السّكاننظام المنافسة و القوة | التّموينالزّواج و الأسرةالمسكن و الملبسالحماية و الدّفاع نظام اللّعب و الاستراحةالأنشطة و الاتصالالتّدريب و التأهيل  | 1/التّغذية2/الإنجاب3/راحة البدن4/الأمن 5/الاسترخاء6/الحركة 7/النمو |

نقد الوظيفية عند مالينوفسكي: وصفه تليمذه [ريموند فيرث]:"بأنه إثنوغرافي دقيق و منظم، بقدرة غير اعتياديه لاكتساب اللّغات، و قابلية فوق الاعتيادية على الملاحظة". لقد قدم في هذا العمل طرق جديدة في البحث الميداني، منها: 1/الملاحظة بالمشاركة. 2/الاستبيان. 3/جمع البيانات الدقيقة. لكنه أخطأ عندما أبعد السّياق التّاريخي و الإقليمي الأوسع في بحثه و هذا ما جعل زميله الفرنسي [مارسيل موس] على النّقيض من ذلك و قد كان على معرفة أوسع و أعمق بالتّاريخ الثّقافي للمنطقة من مالينوفسكي رغم أنه لم يصل إلى هناك على الإطلاق. توصل مالينوفسكي من خلال هذا العمل الضخم إلى أن المجتمع البدائي البسيط الذي يقف في أسفل سلّم التطور كان في الحقيقة معقدا بدرجة كبيرة و متعدد الأوجه، كما توصل إلى أن المشروع المقارن في الأنثروبولوجيا يعتبر عملا تافها، و صار السّياق و التّرابط من الخصائص الجوهرية لأي بحث أنثربولوجي. إن وظيفية مالينوفسكي تختلف عن الاتجاه الدوركايمي، إذ أنه نظر إلى الأفراد و ليس المجتمع على أنهم الهدف النّهائي للنّسق؛ إذ وجدت المؤسسات من أجل النّاس و ليس العكس. و كانت الحاجات البيولوجية بالنّهاية هي المحرك للاستقرار و التّغيير الاجتماعي، فالفرد أساس المجتمع من وجهة نظر مالينوفسكي، أما بالنّسبة لدوركايم فالفرد ظاهرة ثانوية مصاحبة للمجتمع.